

كان أول ما فاهت به وهي تجلس إلى جانبه في السيارة أن قالت: لا بد أنك حسبتني مجنونة وقلت في خُلدك: ما هذه الرعناء التي تقبل التقبيل، ثم تخرج مغضبة، ثم تتكلم بالتليفون، ثم تحضر إلى الموعد طائفة؟ فماذا حسبتني بربك؟ قل لي ولا تكذب!

قال: على كل حالٍ لستُ بآسف لجنونك.

قالت: وأنت يا حضرة العاقل اللبيب الرشيد، أما حاولت أن تفهم لماذا كان خروجي بهذه المفاجأة قبل أن ترميني بالجنون؟

قال مستفهماً: الأمر علاقة بماريانا؟

قالت: هو ذاك، فلو أنني أطلتُ المكوث لباخ الغضب بعد ذلك، ولو أننا تواعدنا أمامها لوقعتُ في براثنها بلا رحمة، فإما أن أطيعها في كل ما يَعمُرُ لها، وإما التهديد والإنذار.

فربت على خدها كأنها طفلة أجادت درسها، وقال: إنكِ لحصيفة يا هذه التي تتطلع مني إلى تهمة الجنون، ولكنها حصافة مخيفة.

ثم حكى لها ما قالته ماريانا بعد انصرافها، وكيف أنها لم تغضب حين قَبَلها، فكيف تغضب الفتيات الماجنات؟ ... فأخذت تضحك حتى اغرورقت عينها بالدموع، وثابت إلى الحصافة فأوصته أن يزور «ماريانا» في اليوم التالي ويثابر على سؤالها بضعة أيام، ثم ينسى المسألة كأنه ألقى بها في ذمة المصادفات.

وانطوت المسافة إلى حديقة الأهرام بمثل لمح البصر، وزعم همام وهو يناول السائق أجره أن سيارته أسرع ما أنجبته المصانع الحديثة، وأنه حرام عليه أن يشترك بها في سباق السيارات.

وخفَّ كل شيء في الدنيا حتى أشفقا أن يذهل قانون الجاذبية عن واجبه المرسوم، وشعرا بهذه الخفة من حولهما، ولا سيما حين بصرا بالمكان خاليًا من كل إنسان، فانطلق الكلام كأنه ثرثرة الأطفال، وانبعثا معًا في خلقٍ جديدٍ.

وطلبا الطعام فظهر لهما أن صاحبتهم من صاحبات النظام المتحذرات من كل ما يجلب السمنة في طعامٍ وشرابٍ، فصَدَّقت على كل ما اقترحه عليها إلا صفحة شواء لا تشبع، فأراد أن يحذرها من القسوة على جسدها، وقال لها إن بعض الأجسام إذا خَفَّ لم تكن خفته على استواءٍ واحدٍ، فيخف هنا ويسمن هناك ويشوه من حيث يُراد له حسن الهندام، ولا ينال أصحابه إلا الجوع والندم!

فنظرت إليه بعيني طفلة تخاف، وسألته مستوثقة: أحق ما تقول؟